مجلة المختار للعلوم الإنسانية 23 (2): 242-271، 2013

Research Article

Open Access

الصراع البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر

مريم الصادق جمعة

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عمرالمختار

Doi: https://doi.org/10.54172/3d3jbe07

المستخلص: الصراع البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر هو موضوع ذو أهمية تاريخية. يهدف هذا البحث إلى استكشاف جوانب الصراع المختلفة، بما في ذلك الأبعاد السياسية والاقتصادية والعسكرية. يحلل البحث المصالح المتنازعة للقوى المتوسطية المختلفة ويحلل استراتيجيات كل طرف. كما يتناول الدراسة تأثير الصراع على الاستقرار الإقليمي ومسارات التجارة. من خلال دراسة المصادر الأولية والسجلات التاريخية، يسلط البحث الضوء على الديناميات المعقدة للصراع البحري وتأثيراته على السياق التاريخي الأوسع.

الكلمات المفتاحية: الصراع البحري، الحوض الغربي، البحر الأبيض المتوسط، القرن السادس عشر

Maritime Conflict in the Western Basin of the Mediterranean Sea during the 16th Century

Maryam Al-Sadiq Jumaa
Department of History, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: The maritime conflict in the Western Basin of the Mediterranean Sea during the 16th century is a topic of historical significance. This research paper aims to explore the various aspects of this conflict, including the political, economic, and military dimensions. It examines the competing interests of different Mediterranean powers and analyzes the strategies employed by each side. The study also delves into the impact of the conflict on regional stability and trade routes. By examining primary sources and historical accounts, the research sheds light on the complex dynamics of the maritime conflict and its implications for the broader historical context.

Keywords: Maritime Conflict, Western Basin, Mediterranean Sea, 16th Century

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

مقدمة:

شهدت منطقة غرب البحر المتوســـط صراعاً بحرياً بين القوى المسيحية في غرب أوربا، والدويلات الإسلامية في منطقة المغرب العربي خلال القرن السادس عشر، وكان لهذا الصراع دوراً كبيراً في تطور الأوضاع الإقليمية والدولية في حوض البحر المتوسط، فقد تمكنت القوى المسحية في شبه جزيرة أيبريا من إعادة غزو الأندلس، واسترجاع السيطرة عليه من المسلمين، بدعم من أوربا وتحت شعار الحرب الصليبية من أجل إثارة مشاعر الشعوب الأوربية بالوازع الديني، وتأليبهم ضد المسلمين، ولم تكتف هذه القوى بالسيطرة علي الأندلس بل اندفعت في محاوله من أجل السيطرة علي منطقة الشمال الأفريقي.

وقد أسفر هذا التوسع عن تغيرات هامة أثرت على منطقة المغرب العربي بشكل خاص ، فهي قد أدت إلى بلورة حركة جهاد عربي إسلامي رفعت راية الجهاد وتحرير المدن والموانى من أيدى الصليبين ، وقامت قياداتها بالتحالف مع الدولة العثمانية بالقضاء على بقايا القوي المحلية الضعيفة في المنطقة كالحفصين وبني زيان ، ومن ناحية أخرى فإن الظروف والمتغيرات التي مرت بها المنطقة، وظهور الدولة العثمانية كدولة كبرى في شرق البحر المتوسط، قد أدت إلى تدخل هذه الدولة في الصراع الدائر في غرب البحر المتوسط بداعى مساعدة سكان شمال أفريقيا، وحماية الأراضي الإسلامية من الغزو الصليبي مما أدى إلي سيطرة العثمانيين على هذه المنطقة باستثناء مراكش.

وتتمثل أهمية هذا الموضوع في أن الصراع البحري الذي ساد طيلة القرن السادس عشر بين القوى المسحية والإسلامية قد شكل مرحلة هامة ومؤثره في تاريخ العلاقات بين العالم الإسلامي وأوربا، وهو يمثل فصلاً جديداً في الصراع التاريخي بين الإسلام والغرب أصبح فيه البحر المتوسط ميدانا للمواجهة بين الطرفين.

ويهدف هذا البحث إلي دراسة الصراع البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر والإجابة من خلال ذلك عن العديد من التساؤلات مثل: ما هي طبيعة العوامل التي أدت إلى قيام هذا الصراع. كما يستهدف بحث التوسع الأسباني في منطقة الشمال الأفريقي ومعرفة ما هي الأوضاع السائدة في المنطقة قبيل الاحتلال الأسباني الموانى شمال أفريقيا؟ وما دور حركة المقاومة الإسلامية ورجال البحر المسلمين في مواجهة هذا الاحتلال؟ وكذلك تطرق إلى تدخل الدولة العثمانية في مجال الصراع البحري والبحث في دوافع هذا التدخل؟ وكيف أدى هذا التوسع إلى السيطرة العثمانية على شمال أفريقيا ؟ وما مدى تأثير معركة ليبانتو البحرية على أحداث هذا الصراع ؟ وقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة وتهميد وثلاثة فصول وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع وفي المقدمة تناولت الخلفية التاريخية للموضوع وأهميته والهدف من دراسته وقدمت خطه موجزه وأخرى تفصيلية وأشرت إلى أهم مصادره و مراجعة . وفي التهميد سوف أتطرق إلى الصراع الإسلامي المسيحي في غرب بالمتوسط قبيل القرن السادس عشر ، أما الفصل

الأول فهو بعنوان دوافع قيام الصراع البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط ويتناول الدافع الديني والسياسي والاقتصادي ، وأما الفصل الثاني فهو بعنوان التوسع الإسباني في منطقة الشمال الأفريقي ، ويتطرف إلي دراسة أوضاع منطقة الشمال الأفريقي قبل السيطرة الأسبانية ثم التوسع الإسباني في شمال أفريقيا والمقاومة الإسلامية ضد الاحتلال الأسباني لشمال أفريقيا والفصل الثالث بعنوان دخول الدولة العثمانية مجال الصراع البحري في غرب المتوسط وقد تناولت فيه دوافع التوجه العثماني نحو الحوض الغربي للبحر التوسط والسيطرة العثمانية على شمال أفريقيا ومعركة ليبانتو البحرية ونتائجها ونهاية الصراع البحري بين الدولة العثمانية والقوي المسحية في غرب البحر المتوسط وفي الخاتمة تطرقت إلى أهم النتائج التي وصلت إليها من خلال إعداد هذا البحث ومن المصادر التي إعتمدت عليها في إعداد كتابة هذا البحث كتاب للمؤرخ الليبي محمد بن خليل المعروف بابن غليون وعنوانه التذكار فمن ملك طرابلس وما كان بهامن أخبار ، تحقيق أحمد طاهر الزاوي وهو من المصادر المهمة عن تاريخ ليبيا في هذه المرحلة التاريخية ، ويتضمن أيضا معلومات عن الصراع العثماني الأسباني في المنطقة ، أما المراجع فأهمها كتاب عبادة كحيله عنوانه المُغرب في تاريخ الأندلس والمغرب الذي إعتمدت عليه في الفصل الأول وكذلك كتاب نبيل عبد الحي رضوان جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس وإسترداده في مطلع العصر الحديث وهو من الدراسات المهمة التي تناولت الدور العثماني في الصراع البحري الدائر في غرب البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر

التمهيد

ما إن انتهت الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي ، والتي شغلت فترة طويلة من القرون الوسطى ، حتى بدأ صراع جديد يتخذ الطابع الديني في الحوض الغربي للبحر المتوسط بين القوة المسيحية الناشئة في شبه جزيرة أيبريا وبين المسلمين في منطقة الشمال الأفريقي ، بعد أن تمكنت هذه القوى من إنتزاع الأندلس من أيدي المسلمين خلال الفترة الممتدة من القرن الحادي عشر حتى نهاية القرن الخامس عشر [1]، فقد شهد القرن الحادي عشر والقرون التالية له حروباً متواصلة بين الإمارات والممالك المسيحية والإسلامية في شبه الجزيرة الأيبرية وأخذت معاقل المسلمين تتهاوى تباعاً في أيدي الإسبان وأصبحت شبه جزيرة أيبريا مع مطلع القرن الخامس عشر مقسمة بين ملوك ناقار و أراجون والكاستيل (قشتاله) والبرتغال [2] .

وقد شهدت إسبانيا المسيحية عهداً جديداً عندما إتحدت مملكة أرجوان مع الكاستيل بالمصاهرة عام 1469 ، وقامت بالاستيلاء على آخر الممالك العربية في الأندلس وهي إمارة غرناطة في عام 1492 ، وقام الملكان المسحيان إثر الاستيلاء عليها بعملية طرد لسكانها المسلمين ، في ظل موجه من الاضطهاد الديني التي تعرض لها مسلمي الأندلس[3] ، وكان الطابع الديني الذي أعطاه المسيحيون لحركتهم الخاصة بإعادة غزة والأندلس وإسترجاعه من الحكم الإسلامي سبباً في أن تتبلور المعركة في شكل صراع ديني بين الصلب والهلال وتمتد حركة الاسترداد لتشمل منطقة الشمال الأفريقي ، والواقع فإن القوى المسيحية في شبه جزيرة إيبريا قد أظهرت نواياها العدوانية تجاه المسلمين في المغرب العربي حتى قبل سقوط آخر معاقلهم في الأندلس فقد هاجمت مملكة الكاستيل مدينة تطوان المغربية عام 1401 ، واحتلتها فترة من الزمن ، كما احتل البرتغاليون سبتة في عام 1415 وأزمور في 1468 وطنجة ثم أصيلة عام 1471[4] .

---

[1] - عصام عبد الرؤوف : تاريخ المغرب والأندلس ، نهضة الشرق ، ص 249 .
[2] - عمر عبد العزيز عمر : التاريخ الأوربي الحديث ، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية) ص 65 .
[3] - هربرت وفيشر : أصول التاريخ الأوربي الحديث ، تعريب وديع الضبع ، دار المعارف (1965) .ص 75 .
[4] - صلاح العقاد : المغرب العربي الحديث والمعاصر ، ط 6 ، مكتبة الانجلو المصرية (1993) ، ص 13 ، 14 .

الفصل الأول

شهد القرن السادس عشر تزايداً في حدة الصراع بين شمال أفريقيا الإسلامية وأوربا المسيحية ، وكان هذا الصراع في البداية يتمثل في محاولة القوى المسيحية تصفية الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبرية ، ثم تحول إلى صراع من أجل السيطرة على غرب البحر المتوسط في إطار ما عرف عند الأسبان باسم (حروب الاسترداد) ، وما يعتبره مسلمو الشمال الأفريقي جهاداً ضد القوى الصليبية ، وتمكن العوامل والدوافع المؤدية إلى هذا الصراع الذي شغل طيلة القرن السادس عشر في الدوافع والأسباب التالية :-

أولاً : العامل الديني :-

إنتهجت مملكة إسبانيا الناشئة سياسة تهدف إلى طرد المسلمين بشكل كامل من شبه الجزيرة الأيبرية ، وإقامة دولة تعتمد قبل كل شيء على مواطنين مسيحيين وإسبان تمهيداً لمد نفوذها خارج أيبريا ، والهيمنة على الحوض الغربي للبحر المتوسط [1] ، ولذلك لجأت وبتحريض من الكنيسة إلى إتباع سياسة الاضطهاد الديني التي مارستها ضد العناصر الغير مسيحية في الأندلس ، وبالرغم من أن الحكومة الأسبانية في البداية كانت مترددة في سياستها تجاه المسلمين ، لأنها كانت ترى فيهم أكثر سكانها نشاطاً وأوفرهم حضارةً ، إلا أنها انصاعت لضغط الكنيسة التي كانت ترى فيهم كفاراً يجب تنصيرهم أو قتلهم أو استرقامتهم أو نفيهم [2] وكانت مملكة غرناطة القديمة تضم كتلةً كبيرةً مسلمةً تربطها بثغور المغرب العربي صلات وثيقة ، بالإضافة إلى جموع كبيرة من المستعربين في منطقة بلنسية وسرقسطه وغيرها من بلاد الأراجون ، الذين ظلوا يتمسكون بدينهم الإسلامي ، وكان وجود هذه الكتلة المسلمة في قلب أسبانيا النصرانية شغلاً شاغلاً للسياسة الإسبانية ،فحاولت الكنيسة في البداية تنصير المسلمين بالوعظ ، والاقناع [3] واستخدام وسائل التأثير المادية ، ولكن هذه الجهود لم تسفر عن نتيجة تذكر [4] فبدأت الكنيسة تصعد من إجراءات التنصير متبعة عدة وسائل أهمها :-

1- محاربة اللغة العربية والثقافة الإسلامية :-

أمرت الكنيسة بتحويل المساجد إلى كنائس وجمعت كتب المسلمين وكانت تعد بالألوف وأضرمت فيها النار ، ولم تستثن منها سوى ثلاثمائة كتاب في الطب

---

[1] - جلال يحي : العالم العربي الحديث المعاصر ، الجزء الأول ، المكتب الجامعي الحديث ، ص 35 .

[2] - عباده كحيله : المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ، ط2 ،(2000) ، ص 275 .

[3] - شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب ، الجزء الثاني ، ط 1 ، المطبعة الأزهرية المصرية ، ص 216 .

[4] - محمد عبد الله عنمان : دولة الإسلام في الأندلس ، ط 2 ،(القاهرة ، 1987) ص 312 – 314 .

والعلوم تم إرسالها إلى الجامعة الناشئة في (قلعة عبد السلام) AL cala Henares[1] ، وكانت تهدف من وراء ذلك إلى إبعاد المسلمين عن مصادر عقيدتهم ، وفي عام 1526 صادق الإمبراطور شارلكان على قرار منع التكلم باللغة العربية وتغيير الأسماء العربية ، ووصلت سياسة التنصير إلى ذروتها في عهد (فليب الثاني) [2] ، الذي أصدر قرارات تحظر على المسلمين حمل أي نوع من أنواع الأسلحة أو التحدث باللغة العربية ، أو إرتداء الملابس العربية ، ومنع التسمي بأسماء عربية ، وشدد على مراقبة المسلمين أيام الجمع والأعياد الإسلامية [3] ، ومنع النظافة التي هي من سنن الإسلام وهدم حمامات الحمراء البديعة [4] ، وقد أسفرت هذه السياسة عن ظهور ما يعرف باسم (الموريسكيين) Moriscos . وهي صبغة تصغير أو تحقير Morosj أي المسلمين ، وأصبحت تطلق على المسلمين المتنصرين أو الذين تظاهروا باعتناق الديانة المسيحية [5] .

2- محاكم التفتيش Inquistion :

ديوان التفتيش أو محاكم التفتيش هي اصطلاح مشتق من الكلمة اللاتينية Inquirere ومعناها يتقصي أو يفتش وقد أسسها البابا أنوسنت الثالث سنة 1215[6]، وكان الهدف منها الرقابة على العقيدة النصرانية والتحقق من سلامتها بين أتباعها ، والمحافظة على نقائها وعهد بهذا الأمر إلى الرهبان [7] ، ولكنها تحولت إلى أداة لقمع الفكر المخالف بالحديد والنار لعدة قرون [8] ، وفي عام 1483م ، صدر مرسوم بابوى بإنشاء مجلس أعلى لهذه المحاكم في أسبانيا يرأسه محقق عام ، ولم يلبث أن إتسع نشاط الديوان ليشمل من كانوا يهوداً في أصولهم حيث تعرض هؤلاء لصنوف من الاضطهاد والتعذيب ، فهاجر عدد كبير منهم إلى الشمال الأفريقي وأراضي الدولة العثمانية [9] ، ثم شمل المسلمين المتنصرين إبتداءً إبتداءً من عام 1499 ، وكان لمحاكم التفتيش صلاحيات مطلقة في استخدام وسائل الإرهاب والتعذيب للحصول على اعترافات من كان إيمانهم موضع شك الكنيسة[10]، وكانت الأحكام الصادرة بحق هؤلاء تتراوح عادةً بين السجن المؤبد

---

[1] - عبادة كحيله ، مرجع سابق ، ص 276 .
[2] - لوثر ستودارد : حاضر العلم الإسلامي ، ترجمة عجاج نويهض ، المجلد الثاني ، دار الفكر العربي ، ص 15 ، 16 .
[3] - عبادة كحيله ، مرجع سابق ، ص 276 .
[4] - لوثر ستودارد ، مرجع سبق ، ص 16 .
[5] -الجزيرة الوثائقية : برنامج تلفزيوني بعنوان (المدن المتلالئة) .
[6] - عبد العظيم رمضان : محاكم التفتيش انسوا استخدام لاسم الله ، مجلة العربي العدد 258 ، وزارة الإعلام والكويت مايو 1980 ، الكويت ، ص 44 .
[7] - عبادة كحيله ، مرجع سابق ، ص 278 .
[8] - عبد العظيم رمضان ، مرجع سابق ، ص 48 .
[9] - عبد العزيز محمد الشناوي : أوربا في مطلع العصور الحديثة ، الجزء الأول ، مكتبة الانجلو المصرية (1982) ، ص 574 .
[10] - عبد العظيم رمضان ، مرجع سابق ، ص 48 .

المصحوب بالتعذيب أو الإعدام حرقاً [1] ،وبالرغم من أن كل هذه الإجراءات قد دفعت بالكثير من المسلمين الذين ظلوا في الأندلس إلى إظهار نصرانيتهم ، إلا أنهم استمروا يُسرون إسلامهم[2].

وقد أسفرت سياسة الاضطهاد الديني التي مارستها الكنيسة الأسبانية عن قيام مسلمي الأندلس بعدة ثورات ضد السلطات الأسبانية ، منها ثورة البيازين في غرناطة 904هـ / 1499م [3]، والتي قُمعت بالعنف ، وثورة البشرات في عام 1568 حيث تحصن المسلمون في هذه الجبال الحصينة وهاجموا النصارى في يأس وإستماته للتعبير عن الظلم الذي لحق بهم ، وإستمرت ثورتهم لمدة عامين ولكن السلطات تمكنت من قمع الثورة بعنف وضراوة مما أدي إلى مقتل أكثر من 20 ألف مسلم كما تم إسترقاق الآلاف منهم ، وهُجر الباقي ، ويقال أن عدد من غادروا الأندلس من المسلمين منذ يوم سقوط غرناطة عام 1492 حتى عام 1610 قد بلغ ثلاثة ملايين نسمة [4] .

وقد استقر المسلمون الذين هُجَّروا من الأندلس في سواحل المغرب العربي وأنتظم العديد منهم في أساطيل بلدان المغرب العربي ، وشاركوا مع رجال البحر المسلمين في شن الغارات على السواحل الإسبانية الأمر الذي دفع بالمتعصبين من النصارى وعلى رأسهم الملكة إيزابيلا إلى التحريض على مطاردة المسلمين خارج الأندلس ، والاستيلاء على منطقة الشمال الأفريقي ، وقد ورد ذلك في وصية الملكة إيزابيلا لابنتها في عام 1504 (إنني أرجو من إبنتي الأميرة وزوجها ، وآمرهما بإطاعة وصايا الكنيسة أمنا المقدسة ، فعليهما ان يقوما بحمايتها وألايكفا عن متابعة فتح أفريقيا ، ومحاربة الكفار) [5] .

ثانياً : الدافع السياسي :-

شهد النصف الثاني من القرن الخامس عشر تطورات كبيرة في قارة أوربا وفي شبه الجزيرة الأيبرية بشكل خاص ، وتتمثل هذه التطورات في ظهور القوميات الحديثة ، ونشأة الدولة الوطنية في الممالك الموحدة وقد اتجهت هذه الدول نتيجة لشعورها بقوة مركزها وإنضواء شعوبها تحت راية واحدة إلى محاولة التوسع وبسط سيطرتها على غيرها من الأمم والشعوب ، التي تأخر تكوينها السياسي وكانت أقل منها تنظيما سواء داخل أوربا كما حدث عندما نشب الصراع الفرنسي -

---

[1] - عبادة كحيله ، مرجع سابق ، ص 278 .
[2] - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، مرجع سابق ص 319 .
[3] - عبادة كحيله ، مرجع سابق ، ص 286 .
[4] - لوثروب ستودارد ، مرجع سابق ، ص 15 ، 16 .
[5] - شهاب الدين أحمد بن محمد المقري ، مصدر سابق ، ص 617 وكذلك صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص 15 .

الإسباني للسيطرة على إيطاليا فيما يعرف بـ (الحروب الإيطالية) ، أو خارج أوربا كما حدث عندما اتجهت دولتي شبه الجزيرة الأيبرية إلى شن ما يعرف بسم (حروب الاسترداد)[1] .

ومع تزايد قوة أسبانيا وخاصة في عهد شارل الأول حفيد إيزابيلا وفرديناند الذي وصل على الحكم 1516 (وقد أصبح إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة في عام 1591) واتسعت رقعة أملاكه بعد إن ورث أراضي في إيطاليا وهي نابولي وميلان ، وصقلية [2] ،وأصبح البحر المتوسط يشكل ممراً هاماً يربط بين الممتلكات الأسبانية في شبه جزيرة أيبريا ، وإيطاليا وبالتالي فقد تحول الجانب الغربي من حوض البحر المتوسط إلي مجال حيوي للتوسع بالنسبة لإيطاليا[3].

ومن ناحية أخرى فإن بروز الدولة العثمانية كقوة كبرى في شرق البحر المتوسط ، قد أدى إلى تغيير موازين القوى في المنطقة ، فقد اخذ سكان الشمال الأفريقي وخاصة رجال البحر المسلمين الذين دخلوا في صراع مع أسبانيا ، يتطلعون على الحصول على مساعدة الدولة العثمانية باعتبارها اكبر قوة إسلامية في ذلك الوقت [4] .

ثالثاً : الدافع الاقتصادي :-

كان البحر المتوسط في مطلع القرن السادس عشر يعتبر ممراً حيوياً للتجارة بين الشرق والغرب ، وكانت التجارة تشكل عاملاً رئيسياً للموانى والمدن الإيطالية والسواحل المغربية المطلة على البحر المتوسط والتي كانت تعد منفذاً رئيسياً نحو غرب ووسط أفريقياً [5] ، ولذلك فقد تولدت رغبة إستعمارية لدى كل من أسبانيا والبرتغال للسيطرة على طرق التجارة ، واندفعت الدولتان إلى تنفيذ عملية توسعية تهدف إلي الاستيلاء على موانى وثغور البحر المتوسط والمغرب الأقصى ، بالإضافة إلى الرغبة الاستعمارية في التوسع كانت هناك دوافع اقتصادية أخرى وراء التوسع الأسباني في منطقة المغرب العربي ، ومنها تركز الأموال في أيدي التجار وعملهم على تشجيع حكومتهم على السيطرة على التجارة الدولية بمواردها وطرقها وأسواقها وكذلك الأزمات الاقتصادية التي مرت بها أسبانيا نتيجة لحروبها المستمرة مع العرب في شبه الجزيرة الأيبيرية ، مما دفع بالحكومة الإسبانية

---

[1] - نبيل عبد الحي رضوان ، جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس واسترداده ،(مكه ، 1988) ، ص 31 ، 30

[2] - شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم : تاريخ أوربا من عصر النهضة حتى الحرب الباردة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع والإعلان (دار القاهرة ، 1998)، ص 50 .

[3] - نور الدين حاطوم : الموسوعة التاريخية الحديثة ، تاريخ عصر النضهة الأوربية ، دار الفكر 1968 ، ص 360 .

[4] - علي الصلابي : الدولة العثمانية ، عوامل التفوق وأسباب السقوط ، ط 1 ، مؤسسة إقرأ (2005) ، ص 193 .

[5] - مفيد الزيدي : موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر العثماني)، دار أسامة ، ص 39 ، 40 .

بالتحالف مع الكنيسة إلى العمل على توجيه أنظار السكان نحو الخارج وخاصةً نحو سواحل المغرب العربي [1] .

ومن ناحية أخرى فقد أدى التهجير الجماعي للمسلمين من الأندلس ونزوح أعداد كبيرة منهم إلى منطقة الشمال الأفريقي إلى حدوث العديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية في ولايات الشمال الأفريقي ، فقد كان على هؤلاء النازحين البحث عن وسائل ومصادر جديدة للرزق [2] ، وقد وجد العديد منهم في ركوب البحر ومهاجمة السفن الأسبانية وغيرها من سفن الدول الأوربية وسيلة لكسب الرزق ، ووفرت شواطئ شمال أفريقيا المراسي الصالحة لهم ، وأخذت هذه العمليات طابع الجهاد والانتقام لما حل بمسلمي الأندلس على يد الأسبان ، مما دفع بالكثير من المؤرخين الأوربيين إلى إطلاق صفه (القرصنة) على هذه الأعمال[3].

وقد إجتذب هذا الصراع عدداً كبيراً من البحارة المغامرين الذين عملوا في خدمة الأسطول العثماني ثم قاموا بتشكيل أساطيل صغيرة تعمل لحسابهم الخاص وتجاهد ضد أعداء الدين في الوقت نفسه [4] ، كما أن السلطات في دويلات المغرب العربي كانت تشجع على هذه الأعمال بهدف الحصول على نصيب من الغنائم.

والواقع فإن هذا النشاط البحري الذي قام به رجال البحر المسلمين باعتباره جهاداً في حين اعتبره المؤرخون الأوربيون قرصنة لم يكن أمراً جديداً في البحر المتوسط ، فأعمال القرصنة والمغامرات البحرية كانت معروفة في هذه المنطقة منذ القدم ، وكان خوارج البحر والقراصنة من النصارى من الأمم التي غزت البحر مثل اليونان وأهل سردينيا وجنوه ومالطا ، فالمغانم الوفيرة من الاتجار بالرقيق والبضائع المنهوبة كانت تغري المغامرين من سائر الأمم ، أما نشاط المغامرين المسلمين فلم يظهر إلا منذ القرن الخامس عشر م ، حينما ضعف أمر الأندلس والدول المغربية وسادتها الفوضى واضطربت العلاقات التجارية بين دول المغرب والدول النصرانية [5] ، فقد تميزت الفترة الممتدة من أواخر القرن الخامس عشر وحتى منتصف القرن السادس عشر بتفجر صراع حاد بين المسلمين من جهه والإسبان والبرتغاليين من جهه أخرى واتخذ هذا الصراع الطابع الديني لدى الجانبين[6] .

---

[1] ـ المرجع السابق ، ص 39 ، 40 .
[2] ـ على الصلابي ، مرجع سابق ، ص 190 .
[3] ـ محمد عبد الله عنان ، مرجع سابق ، ص 384 .
[4] ـ نبيل عبد الحي رضوان ، مرجع سابق ، ص 278 .
[5] ـ المرجع السابق ، ص 384 .
[6] ـ محمود محمد زياده : دراسات في التاريخ الإسلامي من العصر العباسي إلى قبل العصر الحاضر ، مطبعة دار التأليف (1969) ، ص 400 .

ويمكن القول بأن هذه الظاهرة لم تكن مقصورة على مسلمي شمال أفريقيا بل كانت سلاحاً لجأ إليه المسلمين وغير المسلمين ، فكما كانت السفن الإسلامية تهاجم سفن الدول الأوربية ، كان هذا النشاط كذلك سلاماً شهره الأوربيون حتى ضد بعضهم البعض [1] ، وكانت موانى إيطاليا وفرنسا وأسبانيا أعشاشاً تفرخ فيها جماعات القراصنة ، بل أن القرصنة كانت أساساً في تكوين أساطيل بعض الدول الأوربية مثل البحرية الإنجليزية [2] .

ومن خلال ما تقدم يمكن النظر إلى هذه الظاهرة التي أطلق عليها الأوربيين قرصنة واعتبرها المسلمون جهاداً بحرياً في ضوء الاعتبارات التالية :-

أولاً : أن النزعة الصليبية الكامنة وراء المحاولات الأسبانية لاحتلال شمال أفريقيا كانت عاملاً في تأجيج الصراع بين مسلمي شمال أفريقيا والدول الأوربية ، ولما كان البحر ميدانها الرئيسي فقد سمحت دويلات المغرب العربي بظهور أساطيل بحرية لإرهاب خصومها والدفاع عن سواحلها مما أضفى الطابع الجهادي على هذه العمليات .

ثانياً : إن القرصنة لم تكن حكراً على غزاة البحر المسلمين وإنما بالأحرى كانت ظاهرة متوسطية عامة وكان البحارة الإسبان والفرنسيون والإنجليز وحتى تجار هذه الدول متورطون في نشاطات القرصنة التي شهدها البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر م .

ومما تقدم يتضح بأنه هناك مجموعة من الدوافع والعوامل التي أدت إلى ظهور الصراع البحري في غرب البحر المتوسط بين القوى المسيحية الناشئة غرب أوربا ، بين القوى الإسلامية في شمال أفريقيا وأن هذا الصراع قد تميز بالطابع الديني وخاصة لدى الأسبان حيث يلاحظ سيادة الروح المسيحية الصليبية لديهم لتغطية عملية توسعية واستغلالية ضد جيرانهم وهو ما سوف يتم التطرق إليه في الفصل الثاني .

---

[1] ـ أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية (بيروت) ص 289 .
[2] محمود محمد زياده ، مرجع سابق ، ص 400

الفصل الثاني

التوسع الأسباني في منطقة المغرب العربي

تمكنت إسبانيا من تحقيق وحدتها الوطنية خلال النصف الأخير من القرن الخامس عشر في عهد الملكين فرديناند وإيزابيلا اللذان أقاما دولة على أسس دينية كاثوليكية معادية للمسلمين ، وكان موقع إسبانيا القريب من بلاد المغرب العربي عاملاً مشجعاً في توجهها إلى هذه المنطقة مع بداية تكوينها السياسي ، ودخولها ميدان الكشوف الجغرافية ، فاندفعت بروح مسيحية صليبية بهدف السيطرة على سواحل المغرب العربي مستغلة حالة التفكك السياسي التي شهدتها المنطقة [1] .

أولاً : الحالة السياسية في منطقة المغرب العربي في مطلع القرن السادس عشر:-

كانت بلاد المغرب العربي التي شكلت دولةً واحدة خلال القرن الثالث عشر في ظل دولة الموحدين ، تمر مع نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر بحالة من الضعف والانقسام والفوضى السياسية ، وانقسمت إلى إمارات متنازعة يسيطر كل منها على إقليم [2] على النحو التالي :-

1- مراكش : خضعت لحكم دولة بني وطاس (1428م – 1549م) التي قامت على أنقاض الدولة المرينية وقد سيطرت على القسم الشمالي من مراكش وصارت دولتهم تعرف بمملكة فأس ، فيما قامت حكومات أخرى متعددة في سجلماسه ومراكش ، وكما نشب صراع حاد بين الوطاسين والسعديين ، في الوقت الذي سيطر فيه البرتغاليين على عدد من المواني البحرية في المغرب [3] .
2- المغرب الأوسط (الجزائر) ظهرت دولة بنوء عبد الواد منذ القرن الثالث عشر في تلمسان [4] ، كما ظهرت في المدن الساحلية حكومات مستقلة أشبه بالجمهوريات القائمة على الساحل الإيطالي مثل الجزائر ، ووهران وقد استقر بها عدد من رجال البحر الذين كانوا يقومون بأعمال الجهاد ضد المسيحيين ، ويغزون سواحل أوربا ويقدمون العون لمسلمي أسبانياً [5] .
3- تونس : وقد خضعت لحكم الحفصيين من عام 1228 – 1534 ، وقد امتد سلطانهم في بعض الفترات إلى طرابلس وشرق الجزائر ، ومع نهاية القرن

---

[1] - رأفت الشيخ : تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات (1994) ، ص ؟؟؟؟

[2] - جلال يحي : التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، الجزء الأول ، الكتب الجامعي الحديث ، (الإسكندرية)، ص 429 .

[3] - جمال زكريا قاسم : " الحسن بن محمد الوزان" مجلة العربي ، العدد 163 ، وزارة الإعلام الكويتية ، يونيو 1972 ، ص 95 .

[4] - رأفت الشيخ ، مرجع سابق ، ص 17 .

[5] - صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص 12 .

الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر أخذ سلطان هذه الدولة ينحصر حتى إقتصر على تونس وضواحيها [1] .

4- طرابلس : وقد تعاقبت على حكمها مجموعة من الدويلات الصغيرة المتعاقبة أخرها دولة الحفصيين منذ عام 750 هـ / 1349 م ، ثم حكمها بنو ثابت وهم الجوازي الوشاحيين لمدة 80 عاماً ، ثم حكمها بعض أهالي المدينة مثل مامي ، ثم الشيخ عبد الله بن شرف المرابط كم عام من 1504م – 1510م [2] .

وقد أدت هذه الحالة من الانقسام والتفكك السياسي التي كانت تعيشها منطقة المغرب العربي إلى نشوب الصراعات بين دويلاتها ، مما أدى إلى إضعافها وتشتيت قواتها ، كما أدت الحروب الداخلية إلى فقدان الاستقرار والازدهار وغياب السلطة المركزية ، ووصل الأمر ببعض حكام هذه الدويلات إلى التعاون مع القوى الأجنبية ضد أبناء جلدتهم مما أضعف حالة الدولة المغربية ، وساعد على تقوية أطماع الدول الأوربية [3] .

ثانياً : الاحتلال الأسباني ، لسواحل المغرب العربي :-

بعد أن تمكن مسيحيو شبه جزيرة أيبريا من طرد المسلمين من الأندلس ازدادت حماسهم لمطاردتهم ونقل نشاطهم إلى شمال أفريقيا ، فأحتل البرتغاليون بعض موانى المغرب الأقصى ، وبدأ الأسبان في احتلال موانى شمال أفريقيا في إطار ما سموه بـ (حروب الاسترداد) ليمتد الصراع بين النصرانية والإسلام من الأندلس إلى العدوة المغربية ، وتعد حروب الاسترداد امتدادً للفكرة التي تطورت مع تقدم قوات الممالك المسيحية من شمال شبه جزيرة أيبريا نحو الجنوب ، واعتبار تلك الممالك وعلى رأسها قشتالة والأراجوان أن انتقال الحرب مع المسلمين إلى الشمال الأفريقي يعني متابعة الحروب الصليبية ، وكانت الملكة إيزابيلا من أشد المتحمسين لحروب الاسترداد بالرغم من أنها كانت تنطوي على إحتلال أراضي أجنبية لم يسبق للأسبان حيازتها [4] ، وقد قامت إيزابيلا بعقد مؤتمر مع مملكة البرتغال في (توردي سيللاس) أسفر عن توقيع معاهدة بين الطرفين قسمت بمقتضاها المغرب إلى منطقتين : الأولى تقع شرق حجر باديس ، ويتولى فيها

---

[1] - رأفت الشيخ ، كرجع سابق ، ص 17 .

[2] - ابن غليون : التذقارفيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار ، تحقيق أحمد طاهر الزاري ، ط2 ، مكتبة النور (طرابلس ، 1967) ص 101 .

[3] - معيد الزيدي ، مرجع سابق ، ص 37 .

[4] - نبيل عبد الحي رضوان ،مرجع سابق ، ص 52 .

الأسبان مهمة حرب الاسترداد والثانية تقع غرب هذه المنطقة وقد تُركت للبرتغال ، وكان الأسبان يحتلون آنذاك مينائي سبته ومليله [1] .

وقد قامت حكومة مدريد بشن أولى هجماتها على سواحل شمال أفريقيا في عام 1505 ، ونزلت إحدى حملاتها في ميناء المرسى الكبير في غرب الجزائر ثم إتسع نطاق العمليات الأسبانية بعد تولي (بدورناقارو) عام 1508 قيادة الأساطيل ، فاستولى على حجر باديس [2] ، وفي عام 1510 استولى الأسبان على وهران وبجاية مما اضطر باقي موانى الجزائر إلى دفع الجزية للأسبان وكان على مملكة تلمسان أن تواجه هذه الغزو للموانى التي تتبعها وخاصةً وهران ولكن حكامها الزيانيون كانوا عاجزين عن القيام بهذه المهمة وخاصةً في ظل الظروف والمشاكل والثورات الداخلية التي كانت تعصف بهم ، وانتهى بهم الأمر إلى عقد صلح مع الأسبان في عام 1512م اعترفوا فيه بسيطرة الأسبان على عدة موانى في غرب الجزائر [3] .

وبعد الاستيلاء على موانى الجزائر تطلع الأسبان لاحتلال تونس وطرابلس عام 1510 وشجعهم على ذلك ضعف الدولة الحفصية ، فأجبروا السلطان الحفصي على توقي إتفاقية معهم أعلن بموجبها تبعيته للملك الكاثوليكي [4] ، ثم أصبحت طرابلس هدفهم التالي وكانت تشتهر في ذلك الوقت بغناها وأهميتها التجارية ، فأعدوا حملة مكونة من مائه وعشرين قطعة بحرية [5] ، تمكنت من الاستيلاء على طرابلس في أغسطس 1510 ، وأصبحت المدينة قاعدة أمامية للأسبان في البحر المتوسط تلجأ إليها سفنهم وتحتمي بمينائها مراكب وسفن القراصنة الأسبان وغيرهم من المسحيين [6] .

ثالثاً : المقاومة الإسلامية ضد الاحتلال الأسباني لسواحل المغرب العربي :-

لم يكن استيلاء الإسبان على موانى شمال أفريقيا بالأمر السهل ،وبالرغم من تفكك وضعف المسلمين في هذه الأقطار ، إلا أنهم تمسكوا بمبدأ الجهاد الإسلامي لمقاومة القوى المسيحية الغازية فعندما تعقبت سفن الأسبان المسلمين الفارين من الأندلس كان من الطبيعي أن يساعد سكان المغرب العربي إخوتهم المسلمين النازحين من الأندلس والدفاع عنهم ضد سفن المتعقبين لهم من الأسبان ، وقد أدى

---

[1] - صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص 15 .
[2] - المرجع السابق ، ص 16 .
[3] -المرجع السابق ، ص 17 .
[4] - ابن غلبون ، مصدر سابق ، ص 102 .
[5] - ايتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 ، ترجمة خليفة التليسي ، الدار العربية للكتاب ، ص 169 – 174 .
[6] - محمد مصطفي بازاما : ليبيا في عشرين سنة من الحكم الأسباني 1510 – 1530 ، مكتبة الفرجاني (طرابلس) ص 47 .

ذلك الصدام إلى ظهور قيادات بحرية إسلامية قوية عندها القدرة على منازلة الأعداء وكانت سفنهم تستقبل الفارين إلى الساحل الأفريقي [1] .

رجال البحر المسلمين ودورهم في مقاومة الغزو الأسباني :-

أظهر الغزو الأسباني لسواحل شمال أفريقيا حالة التردي والانقسام الذي ساد هذه المنطقة وضعف القيادات المحلية ، وتناحرها ، كما اظهر الحاجة إلى بروز قيادات جديدة تعمل على توحيد القوى الوطنية وتقوم بمواجهة الأعداء وتدافع عن السواحل ، وقد ظلت العمليات البحرية التي يقوم بها سكان الشمال الأفريقي ضد الأسبان غير منظمة حتى ظهور الأخوان [*]عروج وخير الدين باربا روسا وهما من أشهر رجال البحر المسلمين الذين شاركوا في الصراع الدائر في الحوض الغربي للبحر المتوسط [2] .

وقد استقطب الصراع الدائر بين القوى المسيحية والإسلامية في الأندلس وشمال أفريقيا الأخوان لينقلا نشاطهما إلى هذه المناطق ، وخاصةً بعد أن تمكن الأسبان من الاستيلاء على العديد من الموانئ البحرية في شمال أفريقيا ، وقد تمكن الأخوان من تنظيم علاقتهما ، والاستقرار في شمال أفريقيا بتقديم الهدايا والغنائم لحكام المنطقة [3] وحصلا على موافقة السلطان الحفصي بالإقامة في تونس ، ومن هناك أخذا يهاجمان سواحل أسبانيا وإيطاليا وما لبثا أن تمتعا بمكانةٌ وثروةً كافيتين ، ففكرا في إقامة إمارة مستقلة علي إحدى نقاط الساحل واتجها بأنظارهما في البداية على يجاية وهاجماها أولاً في 1512 ولكن الأسبان أجلوهما عنها وفقد عروج الذي لقبه الأوربيين (باربا روسا) ـ ذو اللحية الحمراء – إحدى ذراعيه في المعركة فاتجه إلى جزيرة جربة للإقامة بها ، وكان وجوده فيها تهديداً للأسبان في مدينة طرابلس[4] .

وفي السنوات التالية إزداد تهديد الأسبان لمدينة الجزائر مما دفع بأهلها إلى العمل على التخلص منهم ، فأرسل سالم بن تومي إلي عروج يستنجد به وسارع عروج لتلبية النداء ، وتعاون مع أخيه خير الدين الذي زحف براً على المدينة بينما جاء عروج بأسطول من ميناء جيجل التي تمكن من الاستيلاء عليها 1513 –

---

[1] ـ رأفت الشيخ ، مرجع سابق ، ص 375 ، 377 .

*ـ يرجع أصل الأخوان إلى الأتراك المسلمين الذين استقروا في جزيرة مدللي إحدى جزر الأرخبيل اليوناني ، وقد أتجه الأخوان إلى النشاط البحري منذ الصغر في منطقة الأرخبيل اليوناني ، وتمكن الأخوان من تشكيل أسطول يربو على عشرة سفن ويضم أجناساً متعددة من الأتراك والأوربيين الذين اعتنقوا الإسلام والبربر وقاما بالسطو على السفن والموانى الأوربية .

[1] ـ علي الصلابي ، مرجع سابق ، ص 191 .

[3] ـ حسن صبحي : مذكرات في تاريخ شمال أفريقيا الحديث والمعاصر ، ص 11 .

[4] ـ شارل فبرو : الجوليات الليبية ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي) ، ص 12 .

واستطاع الأخوان السيطرة على مدينة الجزائر عام 1516 ، ثم قتل عروج في عام 1517 أثناء خوضه لإحدى المعارك ضد الأسبان [1].

وقد خلف خير الدين أخيه وواصل هجماته ضد الأسبان ، ولكن موقفه أصبح حرجاً فقد واجه تحالفاً قوياً من قبل الأوربيين مما اضطره إلى البحث عن تحالف يعينه على الاستقرار في المنطقة ومواصلة الصدام مع الأسبان ، وكانت الدولة العثمانية هي القوة المرشحة للقيام بهذا الدور سواء لدورها البارز في شرق البحر المتوسط أو لأن مسلمي شمال أفريقيا كانوا ينظرون إليها باعتبارها اكبر قوة إسلامية آنذاك.[2]

[1] - حسن صبحي ، مرجع سابق ، ص 12 .
[2] - المرجع السابق ، ص 12 – 13 .

الفصل الثالث

اتخذ الصراع القديم بين العالمين الإسلامي والمسيحي بعداً جديداً في القرن السادس عشر الميلادي مع تعاظم قوة الدولة العثمانية التي راحت ترسخ جذورها في أوروبا وتغزو الشرق الأدنى وتبسط سلطانها على المغرب العربي، الأمر الذي جعل للمسلمين سيطرةً كبيرةً على أجزاء واسعة من البحر المتوسط حتى موقعة ليبانتو 1571م، وكانت الإمبراطورية قد أصبحت خصماً خطيراً لأوربا منذ أن سيطرت على القسطنطينية عام 1453م [1] .

أولاً - دوافع التوجه العثماني نحو الحوض الغربي للبحر المتوسط :

استمرت الدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر في نموها وتوسعها، واستفادت وخاصةً في عهد السلطان سليمان القانوني من الأوضاع والمتغيرات الدولية من أجل تدعيم قوتها وإبعاد الأعداء عن ممتلكاتها، وقامت بمجهودات واضحة في ميادين عدة منها البحر المتوسط [2] ، ويمكن تفسير التوجه العثماني نحو الحوض الغربي للبحر المتوسط في ضوء العوامل التالية :-

1- العوامل الاقتصادية :

فقد لعبت الإمبراطورية دوراً هاماً في التجارة العالمية ، وكان لعملياتها العسكرية الواسعة التنوع على ضفاف الفولجا وأذربيجان وشرق البحر المتوسط واليمن نتائج اقتصادية [3] ، وأثر العثمانيون بطريق غير مباشر على التجارة الدولية فقد استولوا على مراكز جنوا والبندقية في البحرين الأسود والأبيض مما صعب على الأوربيين تجارة التوابل ورفع ثمنها [4] ، ولما كانت السيطرة على الأسواق الخارجية تعتمد بشكل أساسي على سيطرة الأساطيل البحرية ، ولذا فقد حول العثمانيون دولتهم إلى قوة بحرية عظيمة في البحر، وكان لنهوض هذه القوة نتائج هامة على صعيد التوسع العثماني نحو الأراضي العربية من سوريا إلى المغرب[5].

---

[1]- جان برناجيه وآخرون . موسوعة تاريخ أوروبا العام ، الجزء الثاني ص34 .
[2]- جلال يحي – تاريخ أوروبا في مطلع العصر الحديث، مرجع سابق ص422 .
[3]- خليل أينلنجك – مرجع سابق ص49 .
[4]- المرجع السابق ص65 .
[5]- المرجع السابق ص65 .

2- تأمين مواصلات الدولة في البحر المتوسط :

عندما اعتلى السلطان سليمان القانوني العرش 1520م قرر مواصلة تأمين طرق مواصلات الدولة البحرية، فطرق المواصلات لم تكن آمنة بسبب سيادة البندقية والقراصنة الأوربيين على البحر المتوسط وكانت جزيرة دروس في شرق المتوسط تشكل مركزا للقراصنة المسيحيين مثل منظمة فرسان القديس يوحنا [1]، فقام السلطان سليمان بطردهم منها عام 1522م، فتوجهوا إلى ايطاليا [2] ، ثم إلى جزيرة مالطا في غرب المتوسط والتي منحها لهم الإمبراطور الاسباني شارل الخامس مقابل الدفاع عن مدينة طرابلس،وقد استقر الفرسان في مدينة طرابلس عام 1530واخذوا في إستهداف السفن التركية مما دفع بالعثمانيين إلى ملاحقتهم وطردهم منها [3] .

3- دوافع سياسية ودينية :

أدت سيطرة الدولة العثمانية على المشرق العربي 1517 إلى إرتفاع مكانة الدولة العثمانية في العالم الإسلامي، وأصبح ينظر إليها على أنها وريثة الخلافة العباسية وإلى السلطان العثماني على أنه خليفة المسلمين، مما دفع بسكان شمال أفريقيا ورجال البحر المدافعين عن المنطقة ضد الغزو الإسباني إلى طلب المساعدة من العثمانيين لتوحيد الجهود الإسلامية في البحر المتوسط ضد الغزو الإسباني[4] .

ثانيا- التوسع العثماني في الحوض الغربي للبحر المتوسط :

أ- تطور البحرية العثمانية خلال القرن السادس عشر :

اعتمدت الدولة العثمانية في بداية نشأتها وتوسعها على قوتها البرية ، ولكن الأتراك وهم فرسان السهوب تمكنوا خلال القرن السادس عشر من التحول إلى قوة بحرية مرهوبة الجانب، والواقع فان هذا التطور جاء بحكم الأحداث والظروف[5]،ويعد السلطان محمد الفاتح أول السلاطين العثمانيين الذين أبدوا اهتماما جديا بالأسطول حيث عمل على تقويته وتزويده بالسفن المختلفة ليكون مؤهلا للقيام بدوره في فتح القسطنطينية، ومواجهة جمهورية البندقية في بحر إيجه[6] ، وقد ساهم فتح مصر والشام في عهد سليم الأول في ازدياد الأهمية البحرية

1- موريس كروزيه وآخرون : تاريخ الحضارات العام ، المجلد الرابع ، عويدات للنشر والتوزيع (بيروت، 2003م) ص550.
2- محمد فريد : الدولة العثمانية العليا، ص11-12 .
3- إيتوري روسي : طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا ، ص50-53 .
4- جان بيرناجيه وآخرين، مرجع سابق ، ج2 ، ص349 .
5- المرجع السابق ، ص 349.
6- علي الصلابي ، مرجع سابق ، ص 82 .محمد رفعت : تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، دار المعارف (القاهرة) ص58 .

البحرية للدولة العثمانية، والتي بلغت اوج قوتها في عهد سليمان (1520-1566) الذي واصل الاهتمام بالأسطول [1] ، وقد وجد في خير الدين بربروسا عونا كبيرا له في تعزيز قوة الأسطول بحيث أصبح أداة فعالة لتنفيذ سياسة السلطان ومشروعاته التوسعية[2] ،والواقع فان التطور الكبير الذي شهدته البحرية العثمانية في عهد كل من سليم وسليمان يعود بشكل كبير إلى قادة الأسطول الذين اشتهروا بالمهارة والبطولة ، أمثال خير الدين بربروسا ودرغوت وصالح ريس والعلج علي [3] .

وبالرغم أن الأسطول العثماني كان يعوزه العمود الفقري الذي مكن للأساطيل الأوروبية المعادية في البحر وأمدها بالقوة المادية والمتمثل في وجود قوة بحرية تجارية قوية، إلا أن العثمانيين مقابل ذلك كانوا متفوقين من حيث الثروة المادية بفضل الغابات القائمة على شواطئ البحر الأسود، وكانت تمدهم بمعين لا ينضب من الأخشاب، أما المعادن الضرورية لصناعة السفن فكانت توفرها مناجم الأفلاق والبغدان في حين كان قماش الأشرعة يستورد من فرنسا، وكان معظم الصناع والعمال الذين يعملون ببناء السفن في الأسطول العثماني من البنادقة واليونانيين[4] .

ب- السيطرة العثمانية على منطقة الشمال الأفريقي :

تمكنت الدولة العثمانية من بسط نفوذها على المشرق العربي خلال الربع الأول من القرن السادس عشر بواسطة القوة العسكرية، ولكن توسعها في الأراضي الإسلامية في غرب المتوسط أخذ شكلا مختلفا، نظرا لظروف المغرب العربي آنذاك,فالصراع الدائر بين القوى الإسلامية والمسيحية أدى إلى زيادة التقارب بين المسلمين في غرب البحر المتوسط مع الدولة العثمانية باعتبارها أكبر قوة إسلامية، كما أدى إلى قيام تحالف بين رجال البحر في غرب المتوسط مع العثمانيين،وكانت نتيجة ذلك سيطرة الدولة العثمانية على المغرب العربي باستثناء مراكش التي كانت تخضع لحكم دولة الأشراف السعديين [5] .

ضم الجزائر:-

1- محمد رفعت : تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، دار المعارف (القاهرة) ص58 .
2- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة بنية فارس ومنير بعلبكي ، ط4، دار العلم للملايين (بيروت ، 1965) ص453-455 .
3 - محمد رفعت ، مرجع سابق ص160 .
4- كارل بروكلمان ، مرجع سابق ، ص469-470 .
5- جلال يجى : العالم العربي الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص35-41 .

استطاع الإخوان عروج وخير الدين بربروسا تكوين أسطول قوي في غرب البحر المتوسط،ولكنهما واجها تحالفاً من القوى الأوربية والقوى المحلية في الجزائر، مما دفع بخير الدين إلى طلب المساعدة من الدولة العثمانية ، وقد استجاب السلطان سليم الأول لطلب خير الدين ووجد في ذلك فرصة لمد نفوذه إلى تلك المنطقة ، فأمده بألفين من الجنود الانكشارية، وسمح له بتجنيد أهالي الاناظول للقتال معه مما مكنه من خوض المواجهه مع إمبراطور إسبانيا (شارل الخامس) الذي كان يسعى لإقامة إمبراطورية مسيحية في البحر المتوسط ، ومنذ عام1518 تشكل التحالف بين خير الدين والدولة العثمانية. وأصبحت الجزائر منذ ذلك الوقت ولاية عثمانية [1] .

وكان على خير الدين أن يبذل جهوداً كبيرة لتوطيد حكمه في الجزائر،وأن يحارب من أجل تحقيق ذلك على جبهتين، الجبهة الخارجية وتتمثل في صراعه العنيف مع الدول الأوربية عامةً ومع إسبانيا بصفة خاصة، وقد تمكن من تصفية الوجود الإسباني على الساحل الجزائري باستثناء وهران، أما الجبهة الداخلية فتتمثل في محاولته لتوحيد المغرب الأوسط تحت حكمه [2], وقد لفتت انتصارات خير الدين الموريسكيين في إسبانيا فانضم إلى صفه العديد منهم،كما منحه السلطان سليمان القانوني خير الدين لقب (بيكلربك) أفريقية، و(قبودان باشا)، وأعطاه القيادة العامة للأساطيل العثمانية 1533م, وفي الواقع فإن خير الدين كان زعيماً لدولة مجاهدةً أكثر منه أميراً للبحر، فقد قدم المساعدة لأهالي الجزائر وتونس وللأندلسيين،ومنحته الانتصارات التي حققها مكانة محترمة في الشرق والغرب على حد سواء [3].

السيطرة العثمانية على طرابلس:-

استولى الإسبان على طرابلس عام1510 كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ثم تنازلوا عنها لمنظمة فرسان القديس يوحنا (فرسان مالطا) في عام1530، وفي البداية لم يكن الفرسان متحمسين لحكم مدينة طرابلس، ولكنهم قبلوا بالدفاع عنها مقابل حصولهم على جزيرة مالطا التي كانت تخضع للسيطرة الإسبانية، وقد واجهت فرسان مالطا العديد من الصعوبات خلال حكمهم لمدينة طرابلس وفي مقدمتها اضطرارهم إلى تقسيم قواتهم بين مالطا وطرابلس،كما كان على أسطولهم أن يقوم بدوريات مستمرة بين الجزيرة وطرابلس، وأن يتعاون بشكل مستمر مع أساطيل

1- جلال يحى : العالم العربي الحديث والمعاصر ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص35-41 .
2- صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص20 .
3- مفيد الزيدي ، مرجع سابق ، ص45-46 .

إسبانيا والبندقية ضد الأتراك، بالإضافة إلى مواجهة تهديدات خير الدين (حاكم الجزائر) لسفنهم في البحر المتوسط [1] .

وقد قام باربا روسا بمحاولة للاستيلاء على طرابلس في عام 1531م،ولكنه لم ينجح في ذلك، وبعد خمسة أعوام تمكن نائبه واسمه خير الدين كرمان من النزول في تاجوراء واتخاذها مركزاً لمهاجمة الفرسان في طرابلس، ثم خلفه في 1539م قائد تركي آخر وهو مراد آغا وهو أحد أتباع خير الدين وشكل تهديدا كبيرا للفرسان في طرابلس [2] ، مما دفعهم للقيام بالعديد من الحملات على المناطق المجاورة لإخضاع القبائل وإبعاد خطر مراد آغا [3] .

وبالرغم من وفاة خير الدين في عام 1546م إلا أن التهديد الذي يشكله رجال البحر الأتراك على الفرسان الأسبان لم يتوقف، فقد برز(درغوت باشا) *وهو أحد تلاميذ خير الدين واستطاع أن يطرد الأسبان من سوسة والمنسيتر وصفاقس واستقر في المهديه [4] فقام الأسبان بإرسال حملة لمهاجمته، والقضاء عليه ولكنه تمكن من الإفلات منها وتوجه إلى الأستانة ، وقام بتحريض السلطان العثماني من أجل إرسال حملة للاستيلاء على مالطا وطرابلس وطرد الفرسان والأسبان من المنطقة، فقام السلطان سليمان بإرسال حملة بقيادة أميراله سنان باشا لهذا الغرض[5].

وقد تضاربت الروايات حول استيلاء العثمانيين على طرابلس فهناك روايتان أحداهما الرواية الطرابلسية التي رواها العياشي في رحلته والتي تشير إلى أن الأسطول التركي كان ماراً في طريقه إلى تونس فاستعان به سكان طرابلس للتخلص من الأسبان [6] أما الرواية الأخرى فقد أوردتها مصادر الفرسان وتشير إلى أن الحملة على طرابلس كانت مدبرة من القسطنطينية، وأن الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا ودرغوت قد خرج من الأستانة قاصداً الاستيلاء على طرابلس، ومالطا، وقد ظهر الأسطول العثماني أمام سواحل مالطا في يوليو1551م، وحاصرها ولكنه فشل في احتلالها فاكتفى باحتلال جزيرة قوزو ثم توجه إلى

---

1 -I.A.P. Vella: (The Realtions between the order of Malta and Tripoli) ليبيا في التاريخ ، المؤتمر التاريخي 16 إلى 25/مارس/1968م ، الجامعة الليبية (بنغازي ، 1968) .

2 - Tbid,p363 .

3- إيتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م ، مرجع سابق ، ص202 .

*- ولد دراغوت في الأناضول وعمل في فترة صباه بحاراً ثم ألتحق بأسطول خير الدين الذي أعجب به وعينه نائباً له وشارك معه الكثير من الهجمات على السواحل الأوروبية وبعد وفاة خير الدين ورث مكانته في البحر المتوسط وأصبح يشكل خطراً كبيراً على السفن الأوروبية وهاجم سواحل كاستيلا ماري ونايولي وتونس . انظر كونسا زيوبرينيا ، طرابلس من 1510-1850 ترجمة خليفة التليسي ، دار الفرجاني (1969، ص50) .

4 - ابن عليون ، مصدر سابق ، ص126 .

5 - .A.P.Vella, op, at p366-367 .

6- .A.P.Vella, op, at p366-367 .

طرابلس، وتمكن من الاستيلاء عليها وطرد الفرسان منها في 16 أغسطس 1551م[1] .

ـ الصراع العثماني – الإسباني على تونس:ـ

كانت تونس خاضعة إلى حكم الحفصيين الذي يرجع إلى عام 1228، وقبل مجيء العثمانيين كانت مجالاً للتنافس بين خير الدين والإسبان [2]، ففي عام 1534 قاد خير الدين أسطولاً إلى تونس ليُخضع تلك المملكة لسيطرة السلطان، ونجح في مهمته، غير أن شارل الخامس و أميراله المشهور دوريا تمكنا من استرجاع تونس في العام التالي [3]، وقد مكنت سيطرة الأسبان على ميناء حلق الواد في تونس أسطولهم من مهاجمة السفن الإسلامية كما أصبح السلطان الحفصي تابعاً لهم [4]، وبعد سيطرة العثمانيين على طرابلس اتخذ منها الوالي العثماني (درغوت باشا) قاعدة لعملياته ضد الأسبان، حيث تمكن من الاستيلاء على مدينة المهدية وهي من أهم قواعد الأسبان على الساحل التونسي [5].

وفي عهد السلطان سليم الثاني (1566-1574) قام العثمانيون بإرسال أسطول كبير إلى تونس عام 981 هجري /1569م بقيادة سنان باشا يساعده قبطان البحر العلج علي وتمكنت الحملة من الاستيلاء على ميناء حلق الواد، وبالرغم من محاولة الملك الأسباني التصدي لهذه الحملة إلا أن العثمانيينَّ تمكنوا من السيطرة عليها وطرد الأسبان منها [6] ولكن القائد النمساوي دون حنا – قائد الأسطول الأسباني – تمكن في عام 1573 من الاستيلاء على تونس، وفي العام التالي تمكن العلج علي من استردادها، وبذلك وضع العثمانيون نهاية للوجود الأسباني في تونس كما أنهوا حكم الحفصيين لها [7] وجعلوا من تونس ولاية عثمانية مكملة لممتلكاتهم في شمال أفريقيا الممتدة من مصر شرقاً إلى الجزائر غرباً.

ثالثاً : معركة لبيانتو ونتائجها :-

في الوقت الذي دار فيه الصراع بين العثمانيين والأسبان للسيطرة على تونس ، استمرت المواجهة بين الأساطيل المسيحية، والأسطول العثماني للسيطرة على المراكز الحيوية في البحر المتوسط، فقد حاول فرسان مالطا استعادة مدينة

---

[1]ـ إتوري رومي، طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا، مرجع سابق، ص95 .
[2]ـ حسن صبحي ، مرجع سابق ، ص66 .
[3]ـ لويس رابت وجوليا كليود : الحملات الأمريكية على شمال أفريقيا في القرن الثامن عشر مكتبة الفرجاني، طرابلس ، ص23 .
[4]ـ ابن أبي دينار، المؤسس في أخبار أفريقيا وتونس، دار السيرة بيروت ، 1993، ص210 .
[5]ـ وليم لانجر وآخرون موسوعة تاريخ العالم ، الجزء ، ص288 .
[6]ـ محمد عثمان الحشائشي : رحلة الحشائشي إلى ليبيا، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تحقيق علي مصطفى المصراتي، ط1، دار لبنان (بيروت ـ 1965) ص57، وكذلك ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص210-218 .
[7]ـ حسن صبحي ، مرجع سابق ، ص288 .

طرابلس من أيدي العثمانيين، فأرسلوا حملة احتلت مدينة زوارة في 1552 ولكن مراد آغا تمكن من طردهم، وفي نفس السنة قام درغوت بمهاجمة سواحل كالابريا ، ونهبها وعاد بعدد كبير من الأسرى [1]، وفي عام 1556م أرسلت الدولة العثمانية أسطولها لمحاصرة مالطا بالتعاون مع درغوت باشا والي طرابلس،ولم يتمكن العثمانيين من الاستيلاء على الجزيرة لاستماتة الفرسان في الدفاع عنها كما قتل درغوت أثناء حصار الجزيرة [2].

وقد قام العثمانيون بمساعدة الموريسكيين في الأندلس في ثوراتهم ضد الأسبان، فقام العلج علي والي الجزائر في عام 1568م بإمدادهم بالأسلحة وبالرجال في انتفاضاتهم خلال عامي 1569م- 1570م، ولكن الأسبان تمكنوا من قمع هذه الثورات وإخمادها [3].

وفي عام 1570م تمكن الأسطول العثماني من محاصرة جزيرة قبرص التابعة للبندقية، والاستيلاء عليها وإجبار أساطيل البندقية وإسبانيا على الانسحاب[4]، وقد أثار استيلاء العثمانيين على قبرص الدول المسيحية وخاصةً البابا البابا (بيوس الخامس) الذي دعا الدول المسيحية إلى تنظيم حملة لطرد الأتراك من قبرص[5]، وبالفعل تشكل تحالف في مايو 1571م مكون من أساطيل إسبانيا والمدن والمدن الإيطالية مثل سافوى وجنوه والبندقية ، وأعلن هذا التحالف بأن البابا بيوس الخامس، وفيليب الثاني ملك إسبانيا وجمهورية البندقية يلعنون الحرب الهجومية والدفاعية على الأتراك لأجل أن يستردوا جميع المواقع التي اغتصبوها من المسيحيين، ومن جملتها تونس والجزائر وطرابلس،وقد احتشدت هذه الأساطيل التي بلغ عددها مائتان وخمسة وعشرون سفينة حربية وسبعمائة مركب نقل في مضيق مسيني ثم التقت مع الأسطول العثماني الذي كان يتألف من مائتان وخمسة وعشرون سفينة حربية،وسبعة وثمانون مركب نقل في خليج ليبانت وقد خسر الأسطول العثماني في هذه المعركة وفقد مائة وثلاثون سفينة وعشرة آلاف أسير[6].

وقد كان لهذه المعركة صدى كبير في أوربا فعمت الأفراح أرجاء أوربا وتغنى بها الشعراء مثل (غونغورا)، و(سرفانتس) وتحولت إلى ملحمة لدى

1- كاملو منفروتي ، مرجع سابق ، ص56-57 .
2- منازل فيرو ، مرجع سابق ، ص126 .
3- علي الصلابي ، مرجع سابق ، ص237-238 .
4- لوثروب ستودارد ، مرجع سابق ، ص237 .
5- نور الدين حاطوم ، مرجع سابق ، ص343 .
6- لو ثروب ستودارد ، مرجع سابق ، ص353 .

الأوربيين[1]، وقد شجع هذا الانتصار إسبانيا على أن تقوم بمحاولة للاستيلاء على تونس عام 1572 ولكن العلج علي تمكن من طردهم [2].

- نتائج معركة لبيانتو :

بالرغم من الانتصارات الذي حققته الدول المتحالفة على الدولة العثمانية إلا أنها لم تستثمر انتصارها في لبيانو، وتقوم بالقضاء على القوة البحرية العثمانية، وقد تمكن العثمانيين من إعادة بناء أسطولهم،الأمر الذي فت في عضد البنادقة الذين ظلوا مرابطين في دلماسيا دون أن يحسنوا مركزهم أو يعززوا قواهم وزايلتهم الرغبة في مواصلة القتال فعقدوا صلحاً مع الدولة العثمانية تنازلوا بموجبه عن قبرص بشكل نهائي [3].

وبالرغم من ذلك فيمكن القول بأن معركة ليبانتو قد أسفرت عن نتائج مهمة أثرت على مجريات الصراع البحري في غرب المتوسط منها :

1- أن هزيمة ليبانتو أدت إلى الشعور بصدمة لدى الجانب العثماني مما أفقدهم القدرة على التحرك بفاعلية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، ورغم استمرار الحرب المتقطعة مع سفن الجزائر إلا أن المنطقة لم تشهد حملات كبيرة كما حدث عندما هاجم الأسطول العثماني جزيرة مالطا في عام 1565م [4] .

2- ساد الشعور بالارتياح العميق لدى الأوربية المطلة على المتوسط بعد الخوف الرهيب من الأتراك، وانتهت أسطورة عدم القدرة على قهر العثمانيين، وتعتبر هذه المعركة إشارة إلى نهاية مرحلة حاسمة في تاريخ الصراع العثماني – الأوربي، وأيضا إشارة إلى تغير ميزان القوة البحرية في غرب البحر المتوسط وأفول القوة البحرية لكل من العثمانيين، والأسبان وظهور قوى جديدة مثل الأسطول الفرنسي والأساطيل المغربية خلال القرن القادم [5] .

رابعاً : نهاية الصراع العثماني –الأسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط :-

بعد معركة ليبانتو لم يعد البحر المتوسط مسرحاً للمواجهات العنيفة بين السفن التابعة للدولة العثمانية، وأساطيل الدول المسيحية باستثناء الحرب المتقطعة بين السفن الأوربية وأسطول الجزائر[6]، وبالرغم من أن الحفصيين بعد طردهم من من تونس قد لجاؤا إلى جزيرة صقلية، وحاولوا التحالف مع الملك الإسباني فيليب

---

[1]- جان بيرغبيه ، مرجع سابق ، ص353 .
[2]- جلال يحى ، التاريخ الأوروبي الحديث ، مرجع سابق ، ص434 .
[3]- جان بيرنجيه وآخرون ، مرجع سابق ، ص508 .
[4]- المرجع السابق ، ص354 .
[5]- علي الصلابي ، مرجع سابق ، ص26 .
[6]- جان بيرنجيه وآخرون ، مرجع سابق ، ص353 .

الثاني من أجل استعاد ملكهم ولكن سيطرة العثمانيين على تونس قضت على آمال إسبانيا في إفريقيا وبددت أحلامها في إقامة دولة إسبانية في شمال أفريقيا، ونظرا لأن فيليب الثاني كان أكثر انشغالا بمشاكله في أوربا المتمثلة في مواجهة التورات في الأراضي المنخفضة والصراع مع كل من فرنسا وإنكلترا،فقد أدى ذلك إلى تحول اهتمامه عن البحر المتوسط وشمال أفريقيا إلى أوروبا [1] .

وكان بإمكان الدولة العثمانية انتهاز هذه الفرصة ولكن انشغال الدولة العثمانية بالصراع الصفوي العثماني أدى إلى تحويل مجهودات العثمانيين العسكرية باتجاه فارس ، الأمر الذي دفع بالعثمانيين إلى الدخول في مفاوضات مع أسبانيا لإنهاء الصراع ، هذه المفاوضات التي بدأت بالرغم من محاولات حاكم الجزائر لمنع توقيع اتفاق بين الطرفين ، حيث ألتمس (قلج علي) من الشريف السعدي عبد الملك سلطان مراكش بالتدخل لدى الباب العالي للحيلولة دون عقد الصلح بين السلطة العثمانية وإسبانيا ، نظراً لما يترتب على هذا الصلح من آثار سلبية على النشاط الجهادي على المسلمين في الحوض الغربي للبحر المتوسط، ولكن الدولة العثمانية مضت في مفاوضات السلام مع الحكومة الأسبانية عام 1577م ، تم إبرام هدنة رسمية بعد أربع سنوات تجددت مره أخرى لمدة ثلاث سنوات[2] .

مما تقدم يتضح بأن معركة ليباتنو قد أدت إلى تحول كبير في سياسة الدولة العثمانية فقد توقف التوسع العثماني في غرب البحر المتوسط ، وانتهجت الدولة العثمانية سياسة تهدف إلى الحفاظ على مكانتها في شرق المتوسط، وقواعدها الرئيسية في شمال أفريقيا ، إضافةً إلى أن التهديدات البرتغالية للسواحل الإسلامية في البحر الأحمر والمحيط الهندي قد أدت إلى تحول أولويات القوة البحرية للدولة العثمانية إلى تلك السواحل للمحافظة على ممتلكاتها هناك وحماية الأراضي المقدسة، وبالتالي فقد تركت الأمر في البحر المتوسط لحكام ولايتها في الشمال الأفريقي للدفاع عن ولايتهم معتمدين على إمكانياتهم المحلية .

---

[1]- نبيل عبدالحي رضوان ، مرجع سابق ، ص460 .

[2]- المرجع السابق ، ص461 .

الخاتمة

في الختام يمكن تلخيص أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال إعداد وكتابة هذا البحث فيما يلي :

أن حالة الضعف والانقسام والتفكك السياسي التي كانت تمر بها دويلات المغرب العربي ، قد ساهمت بدور كبير في تشجيع الدول الناشئة في شبه جزيرة إيبريا على مهاجمة سواحلها واحتلالها لتحقيق أهداف اقتصادية وسياسية ، مستغلةً العامل الديني لحشد الشعوب المسيحية ضد المسلمين ، وأن هذه النوايا العدوانية قد اتضحت منذ فترة مبكرة وحتى قبل قيام الدولة المركزية في إيبيريا .

كما نلاحظ أيضاً أن عجز القوى المحلية الحاكمة في المنطقة عن الدفاع عن ولاياتها بسبب ضعفها وتناحرها ، قد أفسح المجال أمام ظهور قيادات جديدة تولت مهمة الدفاع عن الأراضي الإسلامية فقد استقطب الصراع الدائر في غرب البحر المتوسط مجموعات من رجال البحر ألأتراك ودفع بهم للاستقرار في المنطقة وكان استيلاء الأخوان بربروسا على مدينة الجزائر قد شكل نقطة انطلاق لحركة جهاد بحري إسلامي في المنطقة .

ويتضح لنا كذلك أن ظاهرة القرصنة التي انتشرت خلال القرن السادس عشر كانت ظاهرة عامة عرفتها منطقة البحر المتوسط منذ القدم ومارستها الأساطيل الإسلامية والمسيحية على حدٍ سواء وأنها كانت من وجهة نظر المسلمين رداً على الأعمال التي قامت بها الدول المسيحية ضد مسلمي الأندلس وضد سكان شمال أفريقيا .

ويمكن الاستنتاج أيضاً بأن رجال البحر الأتراك أمثال خير الدين درغوت والعلج علي وغيرهم قد شكلوا طلائع المد العثماني نحو المنطقة وأن الدولة العثمانية قد أصبحت طرفاً في هذا الصراع خلال القرن السادس عشر نتيجة

لمجموعة من العوامل أهمها القضاء على تهديد القوى المسيحية في البحر المتوسط لطرق مواصلاتها وأساطيلها، بالإضافة إلى رغبتها في الظهور بمظهر القوة الإسلامية الكبرى المدافعة عن العالم الإسلامي ، وقد نجحت الدولة العثمانية في بسط سيادتها على منطقة الشمال ألأفريقي بالكامل باستثناء مراكش ، وقد شهد البحر المتوسط سيطرة كبيرة للأتراك حتى موقعة ليبانتو التي تعد علامة فاصلة في تاريخ الصراع البحري في البحر المتوسط ، فقد أدت إلى تدمير جزء كبير من الأسطول العثماني وأوقفت عملياته الهجومية وتحول العثمانيين من حالة الهجوم إلى حالة الدفاع فقط .

كما نستنتج أيضاً من خلال دراسة موضوع الصراع البحري في البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر بأن إسبانيا كانت الدولة الإيبيرية الأكثر اهتماماً بالبحر المتوسط وبالسيطرة على موانيء الشمال الأفريقي ، في حين انصب اهتمام البرتغال على السيطرة على الموانئ المطلة على المحيط الأطلسي والخليج العربي والبحر الأحمر ، ولكن الاهتمام الأسباني بالبحر المتوسط أخذ يتضاءل خلال الربع الأخير من القرن السادس عشر لأسباب متعددة منها فشلها بالاحتفاظ بتونس ومشاكل أسبانيا في القارة الأوروبية .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

1- ابن غلبون : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من اخبار ، تحقيق أحمد طاهر الزاري ، مكتبة النور(طرابلس ، 1967) .

2-إبن أبي ابي دينار : المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، دار المسيرة (بيروت ، 1993) .

3-أبو سالم العياشي : ماء الوائد ، تحقيق سعد زغلول ، منشأة المعارف (الإسكندرية) .

4-شارل فيرو : الحوليات الليبية ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس(بنغازي).

5-شهاب الدين احمد بن محمد المقري : نفح الطيب في عهد الأندلس الرطيب ، الجزء الثاني ، ط1 ، المطبعة الأزهرية المصرية .

6-محمد عثمان الحشائشي : رحلة الحشائشي إلي ليبيا ، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ، تحقيق علي مصطفى المصري ، ط 1 ، دار لبنان ، (بيروت ، 1965) .

ثانياً المراجع :

1-أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية (بيروت) .

2-إيتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 ، ترجمة خليفة التليسي ، الدار العربية للكتاب (ليبيا ، 1973) .

3-ـــــــــــــــــ طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا ، ترجمة خليفة التليسي ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع الإعلان (طرابلس) .

4-حسن صبحي : مذكرات في تاريخ شمال أفريقيا الحديث والمعاصر .

5-جلال يحيي : التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ، الجزء الأول ، المكتب الجامعي الحديث (الإسكندرية).

6-ـــــــــــــــــ العالم العربي الحديث والمعاصر ، الجزء الأول ، المكتب الجامعي الحديث .

7-رأفت الشيخ : تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات (1994) .

8-شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم : تاريخ أوربا في عصر النهضة حتى الحرب الباردة ، دار الثقافة للنشر التوزيع والإعلان (القاهرة ، 1998) .

9-صلاح العقاد : المغرب العربي الحديث والمعاصر ، ط 6 ، مكتبة الانجلو المصرية (1993) .

10-عباده كحيله : المُغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ، ط2، (القاهرة ، 1987) .

11عبد العزيز محمد الشناوي : أوربا في مطلع العصور الحديثة ، الجزء الأول ، مكتبة الانجلو المصرية (1982) .

12-عصام عبد الرؤوف :تاريخ المغرب والأندلس ، نهضة الشرق.

13-علي الصلابي : الدولة العثمانية ، عوامل التفوق وأسباب السقوط ، ط1 ، مؤسسة أقرأ (2005) .

14-عمر عبد العزيز عمر : التاريخ الأوربي الحديث ، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية) .

15-كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير بعلبكي ، دار العالم للملايين (بيروت ، 1965) .

16-كوستانيزو برنيا : طرابلس 1510 – 1850 ، ترجمة خليفة التليسي ، دار الفكر (1969) .

17-لوثر ستودارد : حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة عجاج نويهض ، المجلد الثاني ، دار الفكر العربي .

18- لويس رايت وجوليا كليور : الحملات الأمريكية على شمال أفريقيا في القرن الثامن عشر ، مكتبة الفرجاني (طرابلس).

19-محمد رفعت : تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية ، دار المعارف (القاهر) .

20- محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ط2 ، (القاهرة ، 1987).

21- محمد فريد : الدولة العثمانية العلية ، مكتبة الرواد .

22- محمد مصطفى بازاما : ليبيا في عشرين من الحكم الأسباني ، 1510 – 1530 ، مكتبة الفرجاني ، (طرابلس) .

23- محمود محمد زياده : دراسات في التاريخ الإسلامي من العصر العباسي إلى قبيل العصر الحاضر ، مطبعة دار التأليف (1969) .

24-نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده (مكه ، 1988) .

25- هربرت فيشر : أصول التاريخ الأوربي الحديث ، ترجمة وديع الضبع ، دار المعارف (بيروت ، 1965).

ثالثاً البحوث والمقالات :

1-جمال زكريا قاسم : " الحسن بين محمد الوزان " مجلة العربي ، العدد 163 ، وزارة الإعلام الكويتية (الكويت ، يونيو ، 1972) .

2-عبد العظيم رمضان : " محاكم التفتيش أسوأ استخدام لأسم الله" مجلة العربي العدد 258 ، وزارة الإعلام الكويتية (الكويت مايو 1980) .

3-خليل اينالجك : " الدولة العثمانية الاقتصاد والمجتمع " التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ، ترجمة عبد اللطيف الحارس ، المجلد الأول .

4- A.p. vella : " The realions between the order of mafta and Tripoli "

ليبيا في التاريخ ، المؤتمر التاريخي 16 – 25 مارس 1968 ، الجامعة الليبية (بنغازي 1968) .

رابعاً الموسوعات :

1-جان بيرجيه وآخرون : موسوعة تاريخ أوربا العام ، الجزء الثاني ، منشورات عويدات ، بيروت .

2-مفيد الزيدي : موسوعة التاريخ الإسلامي ، العصر العثماني ، دار أسامة للنشر والتوزيع (عمان 2004).

3-موريس كوزيه وآخرون : تاريخ الحضارات العام ، المجلد الرابع ، عويدات للنشر والتوزيع د بيروت .

4-نور الدين حاطوم : الموسوعة التاريخية الحديثة ، تاريخ عصر النهضة الأوربية ، دار الفكر ، (بيروت ، 1968) .

خامساً مصادر أخرى :

الجزيرة الوثائقية : برنامج تلفزيوني بعنوان المدن المتلالئه.